الهيئة العامة السورية للكتاب دار البعث

رسول حمزاتوف

مختارات شعرية

إعداد وترجمة

د. إبراهيم إستنبولي

الكتاب الشهري الثاني والثلاثون - ٢٠١٠

رئيس التحرير

المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

محمود عبد الواحد

داغستان، يا ملحمتي، كيف لي
ألاّ أصلّي من أجلك،
ألاّ أحبّك،
وهل يمكنني أن أطيرَ بعيداً
عن سربِ الغرانيق في سمائك؟
داغستان: كلَّ ما أعطاهُ الناسُ لي،
أتقاسمُهُ بالعدل معك،
أوسمتي وجوائزي
سأعلِّقُها على قِممك.

فارس الحب والكلمة

د. إبراهيم إستنبولي

أرجوكم، أيها الناس، كرمى لله:
لا تستحوا مِن طيبتكم
الأصدقاء ليسوا كُثُراً في هذه الدنيا
فلا تضيعوا أصدقاءَكم.

في الثالث من تشرين الثاني من عام ٢٠٠٣ رحل رسول حمزاتوف، شاعر الحب والجمال والكلمة الأصيلة. سنوات مضت من دون رسول... وكأنه لم يغادرنا قط. سنوات انقضت ونحن إلى الآن لم نألف غيابه، بل إن دفء قصائده لا يتوقف عن التوقد في آذان محبيه، وإن نور كلماته وحكمته لا يزال يفيض في أرواحنا، نحن الذين عشقنا أشعاره فانسكبت ألحانه في دمائنا أغنية عصية على الزمن كما هي جبال داغستان راسخة شامخة أبد الدهر.

كان رسول بمثابة الصخرة والقمة الرائعة، التي نستشرف الآفاق من عليها؛ كان حصنا روحياً بالنسبة لنا وكان سداً منيعاً في وجه أولئك، الذين أرادوا الانقضاض على إنسانيتنا وعلى روحانيتنا. وقد تحول هو وإبداعه إلى جزيرة نجاة في محيط من البغض والحقد راحت أمواجه تضرب بزماننا وبقيمنا. لذلك رحنا

نلتقط الكلمة السحرية في شعره، كما يتمسك الغريق بقشة، في لجة الأمواج العاتية والعدائية.

لقد اجتمعت في إبداعه عدة عناصر شعرية: الشعر الغنائي، والأدب الملحمي والتأملات الفلسفية بخصوص الزمن والذات. كما أدهشت معاصريه رهافة حسه تجاه العالم، ولسوف تدهش الأجيال القادمة. فقد كان الفتى الجبلي، من قرية تسادا الأفارية الصغيرة، يراقب من فوق هضابها الصخرية ذلك العالم الكبير الذي أسكنه أشعاره. ذلك أنه مذ كان طفلاً صغيراً وهو يتفاعل مع جميع الأحداث العالمية دون أن ينسى جذوره العميقة مطلقاً:

كما الحمَل، وقد أضحى بين أنياب ذئب،

تنظر قريتي إلى الأسفل محصورة بين الجبال..

كما العشُّ الهشُّ في الصخور العالية

يقف بيتي مُعلَّقاً فوق الهاوية.

أنا وُلِدْتُ لداغستانيةٍ فقيرة

في أصعبِ عام من أعوام الجوع...

كان إيقاع قلبه يتناغم مع إيقاع الكرة الأرضية باستمرار، وهذا ما جعله عن حق شاعراً عالمياً بامتياز. فقد كان رسول، الذي تأثر في شبابه بتقاليد مايكوفسكي، يميل من ناحية نحو الشعر الجماهيري، شعر المنابر الشعبية والحشود، ومن ناحية ثانية كان يتمتع بغنائية وبسعة إطلاع طالما تميز بهما شاعر روسيا الكبير الكساندر بوشكين. كما كان يحب أن يردد كلمات الشاعر الألماني العظيم هاينيه: "إن الصدع، الذي قسّم العالم، يمرّ

عبر قلبي". لكن رسول لم يكن في يوم من الأيام شاعر المناسبات الرسمية قط، لأن اهتمامه بما كان يحدث في العالم لم يكن مصطنعاً، بل كان جزءاً لا يتجزأ من تفكيره الجدي والعميق بشأن كل حدث شاءت الظروف أن يكتب عنه.

ففي الاتحاد السوفييتي السابق، حيث كانت توجد تراتبية صارمة للسلطة، استطاع الشاعر الذي تربطه علاقة مباشرة مع هذه السلطة، أن يبقى هو ذاته وأن يقول ما لم يكن يُسمح لغيره أن يقول. ذلك أن حياته المكشوفة وحبه للآخرين تحولا إلى أمثولة على كل لسان. فقد كان التواصل مع الناس حاجة ماسة بل ضرورة حتمية بالنسبة له. ولذا كان شعاره في الحياة: "ولا يوم من دون كتابة ولا يوم من دون تواصل مع الناس!". لم يكن يقبل أن يقاد وأن يوضع في الرتل. بل كان قادراً على أن يتميز بغض النظر عن أي نظام أو صف يوضع فيه. كان رسول هائلاً في كل شيء – في الشعر، وفي الصداقة وفي الحب.

على وَقْع النشيد الوطني
تُمنَحُ الأوسمة للجَمال هناك،
وأكاليل الغار تُعطى
لصديقين لا يفترقان

سيصدُّ هكذا اتحاد
أي هول وكارثة.
فشعار جمهوريتي يقول:

"يا عشاق العالم اتحدوا!".

وأما منزله الذي ينسجم مع شخصيته، فقد كانت أبوابه مشرّعة أمام الجميع:

في ساعةٍ مبكرةٍ، أو ساعة متأخرة،

لا تدقّوا البابَ ولا تستأذنوا، أصدقائي:

إن قلبيَّ مفتوحٌ لكم

كما هو بابي.

وحين كان العالم يتعطش للكلمة الشعرية في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، جاء شعر رسول حمزاتوف منسجماً مع العصر. ففي تلك الأيام كان الناس يأتون إلى أمسياته الشعرية كما يذهبون اليوم لحضور مباراة بكرة القدم. كانت الصالات الكبيرة وصالات الرياضة الضخمة تكتظ بالناس عندما كان رسول يقرأ أشعاره. وهذا بالطبع كان يعود للشعبية غير العادية للكلمة الشعرية عند رسول، تلك الكلمة التي كانت البلاد بحاجة إليها وكانت تنتظرها، ولأنها لم تكن مقررة من فوق. كما كان رسول حمزاتوف خطيباً بارعاً وذكياً. بل إن إيماءات يديه كانت أعمق تعبيراً من خطابات الآخرين.

لقد كان رسول حمزاتوف أسطورة حية للشعر. كان شاعر دولة عظمى، وبهذا كان يفاخر، ولم يتخلَّ عن هذا اللقب أبداً. ولذلك فقد انعكس انهيار الدولة، التي عاش فيها وأبدع، بقسوة على صحته. إذ كان يعاني ويتألم لكل ما يحدث في البلاد. ولأنه إنسان صادق ومنفتح، فقد عاش بصمت عدة سنوات دون أن يغادر

منزله نهائياً. كان يسعى دوماً لمواجهة الكراهية بالحب، خصوصاً في الأعوام الأخيرة.

أما إعادة البناء (البيريسترويكا) فقد استقبلها كأمر طال انتظاره، بفرح كالأطفال، لأنه كان قد تعب كثيراً من النفاق، الذي اضطر هو نفسه لأن يكون شريكاً فيه. لكن أمله خاب بما حدث لاحقاً، فلم تنشأ لديه أدنى رغبة لأن يشارك في ذلك الخداع. وعندما تمزّقت بلاده العظيمة وتناثرت التزم الصمت، ولم ينشد الأهازيج في مديح الإصلاحيين الذين جلبوا الكوارث، مما سبب حنق السلطات القائمة حينذاك. فتوقفوا عن طباعة أعماله في موسكو (مثل كثيرين غيره من الشعراء الكبار). وقد عكس في قصائده الأخيرة لا خيبته هو فحسب، بل وخيبة البلاد كلها:

البلاد العظيمة ممزقة،

والكذب يملأ الوقتَ والفضاء...

التفاهة منتشية بفضل الفوضى من جديد،

وقد ألْبسَتْ نفسها تاجَ الرياء.

والإدعاء يشحذ منقارَهُ الإمبراطوري،

وهو ينظرُ في مرآة عوجاء...

أيها"البينَ بينْ"- أنا لا أحبُّك،

ولن أشرِّفَك بعداوتي.

لقد أصاب الكثيرين في عقد التسعينيات من القرن الماضي ما يشبه الانهزام في المعتقد ككل، ولكن ذلك لم ينل من رسول، لأنه كان يدرك أنه ما من نظام اجتماعي خال من العيوب، مع أن هذه

هي غاية كل نظام. لقد كان رسول حكيماً، واعياً لكل شيء، ولكنه كان يتعامل بإخلاص مع آلام وآفات زمانه. إذ أن الجميع غير قناعاته. أما هو فقد وجدَ صعوبة في أن يعترف بأخطائه وبضلاله. لكن قصائده الأخيرة جاءت مفعمة بالقسوة تجاه الذات. وهذه القسوة تظهر حتى في عناوين بعضها: "الحساب"، "المحاكمة"، "التوبة"، "الوصية"، "الوحدة".. الخ. وهذا ما دفعه لأن يبحث باستمرار ولأن يجد في ذاته من القوة دائما ما يكفيه للاعتراف بأخطائه. فالإنسان صاحب الضمير الحي فقط هو القادر على إعلان التوبة الحقيقية، وعلى أن يشك فيما يفعله، أما الثقة الزائدة فهي من صفات الثرثارين، مثلما الصلف من صفات البلهاء المغرورين. كان كثير من قصائده في السنوات الأخيرة من حياته أشبه بالصلوات. بل إن أشعاره كلها كانت خلال مجمل حياته نوعاً من البحث عن الرب، ولذلك لم يكن عبثاً أنه كان يأمل، وقد اعتبر نفسه ملحداً (برغم كل ما قدمه من خير للناس يومياً)، بمكان متواضع بين جهنم والجنة:

سوف يَسألُ: - وقد غابت الحقبة، كما الشهب،

ما هو الذنب الذي ارتكبتَهُ أنتَ بحقِّها؟

- عملتُ في السياسة أحياناً،

مع أنني ولدتُ في الأرض شاعراً.

ولكن، وقبل أن تقرِّرَ المحكمةُ مصيري،

وبعد أن يلقى على حياتي نظرةً ثاقبة،

سوف أسألُ اللهَ من كل قلبي

أن يجِدَ لي مكاناً بين الجنة والجحيم.

كان رسول يخشى من غياب الذاكرة عند الجيل الجديد، الذي راح ينكر القدر الأدبي والبحث الإبداعي لأمثاله. فكان رسول يستشعر هذه الفوضى القادمة، ولم يكن يخافها بقدر ما كان يحاول فهمها. لقد كان حكيماً جداً وعاقلاً جداً بالنسبة لذلك الزمن الرديء المجنون. ولأنه كان واحداً من أهم الممثلين المبدعين والموهوبين لحقبته، فقد صار آخر فرسانها:

وحيد تماما، مثل جندي باسل،

نجا وحده بأعجوبة،

وراح يخرج من الحصار اعتباطاً،

وقع في مستنقع غير سالك.

وحيد تماما، مثل غرنوق جريح،

ابتعد في لحظة شؤم عن السرب...

وآن له أن يطير نحو الجنوب،

لكن جناحيه المكسورين قد تعبا.

لقد راح رسول يبحث عن الله في تاريخ شعبه، في حاضره وفي مستقبله. ووسط ذلك التهتك الإيديولوجي، وعبر المجابهة بين مختلف الديانات والمعتقدات، وبين الأحزاب الصغيرة والكبيرة، بقيت داغستان هي عقيدته الوحيدة. وأكثر ما كان يخشى في هذه الدنيا أن يفقد إيمانه ببلده داغستان:

بحزن أنظرُ إلى داغستاني،

فقد تلوّت كأن حريقا مسها،

لحدّ الألم لا أعرف الصديق،

إذ صارَ الكثيرُ فيها غريباً.

نعم، كانت داغستان أساس ديانته على مدى كل حياته الإبداعية الواعية. لكن الأساس الذي قامت عليه قيمه الروحية قد انهار، فراح يتمسك بالجذور التي غرستها جباله الشامخة بكل قوة وتشنج. وجاءت أسئلة الشاعر المريرة للألفية الجديدة، التي راحت تتقدم كحتمية، لتبقى بلا جواب.

ولكن مَن قال أن الحقبة الأخرى ستكون أفضل؟

كانت قصائده الأخيرة ممتلئة بالألم الذي لم يستطع تحمله. وقد تحولت صحوته إلى وداع طويل مع البلاد ككل، مع قرائه، مع زوجته فاتِمات، التي غادرت على حين غرة وبهذا تعرى عصب وحدته. لقد كان رسول حمزاتوف فارساً وفياً في الحب، وكان ينتمي كلية لفاتِمات. وبالرغم من ميله للعشق والمغامرات العاطفية، كما كان يمكن تخيله، لم يكن يعشق حقيقةً سوى فاتِمات.

لقد تصارع الأمل مع اليأس عنده في السنوات الأخيرة. إلا أن الشاعر لم يتشبث بالحياة، وإنما ببساطة لم يكن يرغب أن يفقدها كما المرأة المحبوبة، المعشوقة حتى الوله. وفي هذا كانت تكمن مأساة ما.

كان يتمنى دائماً أن يكتب القصيدة الرئيسية الأخيرة في حياته، وكان دوماً يظن أن هذه القصيدة سوف تكون الأخيرة. كان مهتماً بالقصائد الأخيرة للشعراء الذين أحبهم، لأنه كان يعتقد أن فيها يكمن مشفَّراً ما هو أكثر أهمية. وكان يقرأ أشعاره بطريقة رائعة، من دون تمثيل، فكانت تخرج من أعماق طبيعته الملتهبة، بحماس ولتصبح كالمشعل. وعلى العموم، هو نفسه كان دائماً بمثابة المشعل الذي ينير الظلام. إن منتقدي شعره غالباً ما يتهمونه بخيانة قناعاته ومبادئه. وهذا ليس صحيحاً. فمع أن رسول تغير بالتوازي مع الزمن الذي بدّل موقفه من الحياة ومن الإبداع، إلا أنه ظلّ أميناً لذاته في الأمور الرئيسية:

أواه، أيها الزمن، أنت كالريح...

كما تشاء تستبدل الشرقَ

بالغرب في لحظة.

لكن قرني مضى، وبرغمِ أنّكَ قاس،

فإنك لن ترى خيانتي أبداً.

أما قصيدته "الغرانيق" فقد صارت واحدة من أعظم الأغاني في القرن العشرين. فهذه الأغنية عبارة عن تحية انحناء أمام ذاكرة جميع الشهداء وهي في نفس الوقت تبعث برسالة تحذير إلى البشرية من حروب جديدة.

عندما أغادرُكُم في طريق طويلة

إلى ذلك المكان، حيث لا عودةَ،

فإن الغرانيقَ وهي تطيرُ حزينة،

سوف تذكِّركم بي.

يتلعثم المرء وتتشنج حنجرته وهي تقرأ هذه النبرات الموجعة للقلب. وإذا كان رسول ذاته يشك أحياناً في إبداعه، فالآن لا يشك أحد فيه مطلقاً. فقد أدرك قبل غيره أكذوبة النظام السياسي الذي شاء القدر أن يعيش في ظلّه، إلا أنه وسط هذه الكذبة العامة كان يبحث عن جزر نجاته – الأب والأم، الحب والصداقة، العائلة والأولاد – تلك الجزر التي مشى من خلالها إلى الحقيقة. فهو لم يدافع إلا عن القيم الأبدية. كانت لديه موهبة تنبؤ مدهشة.. لذلك جاءت قصيدته "احفظوا الأطفال" نبوية بحق:

هذا العالَم، مثل الجرح المفتوح في الصدر،
لن يندمل بعد الآن أبداً.
لكنني أؤكد، كما لو أنها صلاة المسير،
في كلِّ لحظة: "احفظوا الأطفال!".
أرجو الجميعَ، كلَّ مَن يؤدي الصلاة،
ورعايا الكنائس في كل مكان:
أرجوهم بشيء – "انسوا الشقاق،
احفظوا بيتكم وأطفالكم العزّل!"
من الأمراض، من الانتقام والحرب الرهيبة،
من الأفكار الطائشة التافهة.
وعلينا اليومَ أن نرفع معاً في كل أنحاء

العالم نداءً واحداً: "احفظوا الأطفال!".

يرقد رسول حمزاتوف هناك، حيث كان يتمنى، عند سفح جبل تاركي ـ تاو، إلى جانب رفيقة دربه فاتِمات، وهو يرى المدينة بأكملها من هناك، المدينة التي أحب وكذلك البحر الذي تغنى به. ولن يعشوشب الدرب إليه وهو، مثلما كان دائما، ليس وحيداً.

أُدرِكُ تحتَ سماء داغستان،

بينما أعبُرُ آخرَ مضيق:

باكراً جئتُ كشاعر،

وكنبيٍّ – جدّ متأخر.

نبذة عن حياة الشاعر

ولد رسول حمزاتوفيتش حمزاتوف في الثامن من أيلول عام ١٩٢٣ في قرية تسادا من ناحية هونزاخ في جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي السوفييتية (إحدى جمهوريات الاتحاد الروسي حالياً)، في عائلة شاعر الشعب الداغستاني، الحائز على جائزة الدولة للاتحاد السوفييتي، حمزة تساد أسا. تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة ارانيا وفي معهد التربية الآفاري. وبعد تخرجه من المعهد عمل مدرساً، ومساعد مخرج في المسرح الآفاري الحكومي، ثم مراسلا ورئيس قسم في جريدة "بلشفي الجبال"، ومحرر برامج راديو داغستان باللغة الآفارية. في أعوام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ تابع تعليمه في معهد غور كي للآداب في موسكو، وبعد تخرجه منه تم تعيينه رئيساً لاتحاد كتاب داغستان، حيث ظل يعمل في هذا المنصب حتى يوم وفاته.

بدأ رسول حمزاتوف كتابة الشعر في التاسعة من عمره. ثم راح ينشر أشعاره في جريدة "بلشفي الجبال" التي كانت تصدر باللغة الآفارية وكانت توزع في أنحاء داغستان. اصدر أول مجموعة شعرية باللغة الآفارية عام ١٩٤٣، وكان عمره عشرين عاما فقط، وفي السنة نفسها انتخب عضواً في اتحاد الكتاب لعموم الاتحاد السوفييتي. صدرت له منذ ذلك الحين عشرات الكتب في الشعر والنثر والأدب الاجتماعي، وفي مختلف اللغات: في داغستان وجمهوريات القفقاس ومختلف بلدان العالم، ومنها: "قلبي في الجبال"، "النجوم العالية"، "حافظوا على الأصدقاء"، "الغرانيق"، "حكايات"، "عجلة الحياة"، "عن الأيام العصيبة في

القفقاس"، "داغستان بلدي"، "احكم علي بقانون الحب"، وغيرها الكثير من الكتب، التي نالت شعبية واسعة داخل بلدان الاتحاد السوفييتي وخارجها.

وقد قام بترجمة أشعار وقصائد رسول حمزاتوف إلى اللغة الروسية أساتذة كبار مشهود لهم بالكفاءة والجدارة من أمثال ايليا سيلفينسكي وسيرغي غورروديتسكي وسيمون ليبكين وغيرهم. وكانت مثمرة جداً، على الخصوص، علاقة التعاون والعمل المشترك بينه وبين أصدقائه الشعراء من أمثال: نعوم غريبنيف، ياكوف كزلوفسكي، ايلينا نيكولايفسكايا، روبرت رجديستفينسكي، اندريه فوزنيسينسكي، مارينا احميدوفا وغيرهم. أما رسول حمزاتوف فقد ترجم إلى اللغة الآفارية أشعار وقصائد كل من بوشكين، وليرمنتوف، ونيكراسوف، وبلوك، ومايكوفسكي، ويسينين وشيفشينكو، وغيرهم.

تم تحويل الكثير من أشعار رسول حمزاتوف إلى أغان. وقام بتلحينها عدد من أفضل الملحنين في داغستان وروسيا والقفقاس وغيرها من الجمهوريات السوفييتية، نذكر منهم: كاباليفسكي، فرينكل، رايموند باولس، الكسندرا باخموتوفا، محمد قسوموف وأحمد تسورميلوف وغيرهم. كما قام بأداء تلك الأغنيات فنانون ومغنون معروفون جداً في الاتحاد السوفييتي السابق وفي روسيا الحالية: آنا هيرمان، مسلم ماغماييف، يوسف كَبْزون، فاليري ليونتيف، صوفيّا روتارو، فاختانغ كيكابيدزه، وغيرهم الكثيرون.

حصل رسول حمزاتوف على أوسمة وجوائز كثيرة وذلك لقاء إنجازاته الرائعة وخدماته الجليلة في مجال الأدب. وقد تم منحه الأوسمة وشهادات التكريم على مستوى كل من جمهورية

داغستان وروسيا والاتحاد السوفييتي السابق. إذ نال: لقب شاعر الشعب في داغستان، بطل العمل الاشتراكي، جائزة لينين، جائزة روسيا والاتحاد السوفييتي، الجائزة الدولية "شاعر القرن العشرين"، جائزة اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا "اللوتس"، جائزة جواهر لال نهرو، جائزة الفردوسي، جائزة كريستوبوتيف البلغارية، وكذلك جوائز شولوخوف، وليرمنتوف، وفاد يـيف، وباتيراي، وجائزة مدينة تساد أسا، وغيرها.

انتخب رسول حمزاتوف نائبا في مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية داغستان، ثم نائباً لرئيس مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية، ونائبا وعضو رئاسة مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي. وكان على مدى عقود مشاركاً في مؤتمرات اتحادات الكتاب في كل من داغستان وروسيا والاتحاد السوفييتي، وكذلك عضواً في مكتب التضامن لكتاب بلدان آسيا وأفريقيا، وعضو لجنة جوائز لينين والاتحاد السوفييتي، وعضواً في اللجنة السوفييتية للدفاع عن السلم، ونائباً لرئيس لجنة التضامن الآفرو آسيوية، وعضو هيئة التحرير في كل من مجلة "العالم الجديد"، و"الصداقة بين الشعوب"، وصحيفة "الجريدة الأدبية"، و"روسيا الأدبية" وغير ذلك من الصحف والمجلات. لقد نال: وسام لينين أربع مرات، وسام ثورة أكتوبر، وسام الراية الحمراء في العمل، وسام الصداقة بين الشعوب، وسام "من اجل الوطن"، وسام بطرس الكبير، الوسام البلغاري كيريل وميفوديا، والكثير من ميداليات الاتحاد السوفييتي.

أقيم الكثير من الأمسيات والحفلات الشعرية لرسول حمزاتوف في مختلف مسارح داغستان وموسكو وفي مختلف بلدان العالم: صوفيا، وارسو، برلين، بودابست. وتم إخراج باليه مستوحاة من

الأعمال الشعرية لرسول حمزاتوف على خشبة مسرح الأوبرا والباليه في لينينغراد، كما تم إخراج مسرحية على أساس كتاب "داغستان بلدي" على خشبة المسرح الساخر في بطرسبورغ. وقد تم تصوير أفلام وثائقية وتلفزيونية عن حياة وإبداع شاعر الشعب رسول حمزاتوف. منها: "قوقازيٌ أصله من تسادا"، "الغرانيق البيضاء"، "رسول حمزاتوف وجورجيا"، وغيرها. كما تم إخراج فيلمين سينمائيين على أساس أعماله: "الجبلية" و"حكاية خوتشبار الشجاع".

زار رسول حمزاتوف الكثير من بلدان أوروبا، وآسيا، وأفريقيا وأمريكا. كما حلَّ رسول حمزاتوف ضيفاً على الكثير من الشخصيات الحكومية المعروفة بمن فيهم ملوك ورؤساء، وعند كتاب وفنانين كثر. وزار بيته في قرية تسادا وفي ماخاتشكالا – عاصمة جمهورية داغستان - الكثير من الضيوف والمشاهير من كل أنحاء العالم.

تتكون عائلة رسول حمزاتوف من: زوجته فاتمات التي توفيت عام ٢٠٠٠، وثلاث بنات وأربع حفيدات. توفي والده في عام ١٩٥١. وتوفيت والدته عام ١٩٦٥. استشهد أخواه الكبيران في ساحات القتال في الحرب الوطنية العظمى. أما أخوه الأصغر حاجي حمزاتوف ـ وهو عضو أكاديمية العلوم الروسية – فما يزال يعيش في ماخاتشكالا.

في الثالث من تشرين الثاني من عام ٢٠٠٣ توقف قلب الشاعر رسول حمزاتوف عن الخفقان. وقد تم دفنه في ماخاتشكالا - عاصمة داغستان في مقبرة تقع عند سفح جبل تاركي ـ تاو بجوار قبر زوجته فاتمات.

الغرانيق

يبدو لي أحياناً، أنَّ الجنودَ،
الذين قُتِلوا في المعارك الدامية،
لم يُدفَنوا في ترابنا يوماً قط،
بل تحوّلوا إلى غرانيق بيض.
وأنهم ما زالوا يطيرون ويبعثون إلينا النداء
منذ تلك الأيام البعيدة وحتى الآن.
أليس لهذا غالباً ما نصمتُ
بحزن ونحن نتطلّعُ إلى السماء؟
واليومَ، في وقت المغيب،
أرى عبْرَ الضباب، كيف إنَّ الغرانيق
تطيرُ في انتظامها المعهود،
كما كان الجنودُ يمشون في الأرض.
تطيرُ وتختتِمُ طريقَها الطويل
وهي تستدعي بعضَ الأسماء.
أليس لهذا ومنذُ الأزل تُشبِهُ
اللغةُ الآفارية صوتَ نداء الغرانيق؟
يطير ويطير في السماء سربٌ تعِبٌ -

يا أصدقائي السابقين وأحبائي.
وثمّةَ في رتلِهِ فراغٌ صغير –
لربما، هذا المكانُ متروك لي!
سيحينُ يومٌ، وسوف أطير
مع سربِ الغرانيق في مثل هذه الظلمة الرزقاء،
منادياً بصوت الطيور من تحت السماوات
أولئك الذين تركتُهم على الأرض.

أحبك، يا شعبي الصغير

تُحسنُ لقاءَ الحزن بصرامة،
من دون دموع، بلا حيرة،
وتجيدُ أنتَ السعادة
من دون أن تتباهى.

أليستْ أغانيك هي التي تشبه
طيرانَ النسر البطيء،
ورقصاتِ الفارس، الذي يطير
حصانُهُ، وقد نسيَ اللجام.

لم يبهتْ طبعُكَ الأبيُّ،
والعِبْرةُ في كلامك تعيش.
أوه، كم أحبُّك بقلبٍ جبلي
أنتَ، يا شعبي الصغير!
في زحْمةِ الجبال، حيثُ
الضبابُ مجدول في قيدٍ غليظ.

قلبُكَ دائماً مفتوح،
وواسع دوماً كما السهل.

القطاراتُ ترعُدُ عند قدميك،
ومِن على كتفِك تُـقلع طائرة.
أحبُّك، كابنِ دولةٍ جبارة،
أنتَ، يا شعبي الصغير!

قلبي في الجبال

قلبي في الجبال، وأما أنا.. ففي الأسفل.
(روبرت برنس)

الصيفُ الساكنُ هجَرَ المدينة...
من جديد أطلقوا شائعةً غبيِّة عني،
تزحَفُ على الطريق، تصعدُ إلى الجبال،
وتبدأ العربدة في البيوت الآفارية.

هناك نميمة: كما لو أنني، كذا،
صرتُ فتى متغطرساً،
وأنّني رحتُ أغني بعيداً عن البيت،
وأنّي نسيتُ القرية الملتصقة بالصخور،
ونسيتُ لونَ ورائحةَ الأرض الحجرية الغالية.

وكأنني، كذا، نسيتُ الجبليات اللاتي يحمِلْنَ الحشائش
من المروج على ظهورهِن، المتعرّقةِ في الدرب فوق الهاوية،

يُقَال أنني ارتديتُ قبعة مثل الطِسْت المعدني،
ووضعتُ ربطةَ عنقٍ عصرية، كذيل حمار.

وأنّي نادراً ما أزور هونيب وأرى أعشاب هونزاخ،
وأنّي صرت غريباً، ولا علمَ إنْ كنتُ سأعود مرة ثانية...
يقولون، أني أعيش لمجدي الشخصي،
وأنّه لم يعدْ فيّ دمٌ جبلي منذ أمدٍ بعيد.

... هذا ما أسرَّهُ لي على عجل واحدٌ أشيب الشعر
من بلدي. وأَبَى أنْ يتناولَ الغداءَ معي.
أبى، العنيدُ، أن يتذوّقَ الخمرَ الجديد،
وأبْعَدَ عنه الكأس التشيكي المتلألئ.

لم يعِرْ اهتماماً لأثاثِ البيت،
فجلسَ بحذر على حافة الصوفا الواسعة.
نَظَرَ بلا مبالاة إلى أوسمتي،
التي حملتُها بعد أنْ زرتُ بلداناً كثيرة.

أخْرَجَ كيسَ تبغٍ، وهو يُدمدِمُ،
رافضاً بحزم سيجارة مني.
وراح يلعب مع ابنتي الصغير زاريما
وهو ينظر ساهياً إلى صورة الأب.

نامَ الضيفُ جالساً، رغم أنّنا جهّزنا له السرير،
افترش فراءً من جلد الماعز، وتغطّى بطرفه.
(كما كان الصيادُ يغفو، أحياناً، أثناء التوقف،
بعد أنْ أصابَ التيسَ الجبليَّ بسهم خشبي دقيق.)

... آه، أيها السهمُ، الذي أصاب فرحَ الشاعر،
والحجرُ، الذي أُلقيَ في القلب من القِمم الآفارية!..
لا، لا تُصدِّق، يا شعبي، النمائمَ السامة،
وهل أساوي بمفردي ولو إصبعاً في يديك؟

ما حاجتي للمجدِ الشخصي؟ ما هو، حقاً؟
فأنا فخور بك، لا بنفسي، يا شعبي.
أنا مُجرَّدُ شرارة لمجدِكَ المُتَوهِّج،

ومن دونك ستنطفئ هذه الشرارة وستموت.

أنا – قِشّة في ربوعِكَ الجبلية العالية،
ومصيري أن أذبُلَ من دونك وسطَ الغبار.
أنا – مجرد قطرة في أنهارِكَ العصيّة،
ومن دونك لَكُنْتُ نضبتُ وتبخّرتُ منذ زمن بعيد.

هذه يداي خُذْهما – يداي الخشنتَين،
فحرارتُكَ تسري في عروقهما،
هذه عيناي. مسكوبٌ فيهما حزنٌ دائم،
في أيام فراقك ولو كان قصيراً جداً.

وهذا هو قلبي. إنه قلبُ الابن،
قلبٌ يقطنُ في الجبال ويحيا في الأرض العزيزة.
قلبٌ مُفعَمٌ بالحبِّ المطلق،
فأنا أحبُّكَ إلى الأبد،
أيها الشعب الساكن في الجبال!

داغستاني [٢]

بعد أن زرتُ العديدَ من البلدان،
ورجعتُ إلى البيتِ تعباً من الطريق،
سألتني داغستان وقد انحنت فوقي:
"أَحيُّكَ البعيدُ أثارَ فيك الشوق؟"

صعدتُ إلى الجبل ومن ذلك العلو
أجبتُ داغستان، وقد تنهدّتُ بعمق:
"لقد زرتُ مناطقَ كثيرة، لكنك
تظلُّين الأحبَّ في كل الدنيا.
ربما، أنا نادراً ما أُقْسِمُ بالحبِّ لك،
فلا الحبُّ جديدٌ، وليس جديداً أن نقسم،
أنا أحبُّ بصمت، لأنني أخاف:

[٢] داغستاني – هي الترجمة الحرفية لعنوان هذه القصيدة.. ولقد استخدم رسول حمزاتوف نفس الكلمات كعنوان لكتابه النثري الرئيسي"My Dagestan = Moi Dagestan".. ونقله الأديبان الراحلان عبد المعين الملوحي ويوسف حلاق إلى العربية تحت عنوان"داغستان بلدي". وقد ارتأيت أن أترك العنوان كما أراده الشاعر تعبيراً عن تماهي الأنا لديه مع بلاده، وذلك في زمن كان التعبير عن "الأنا" يكاد يرتقي إلى درجة الخطيئة. المترجم

أنْ تشحبَ الكلمةُ المُكررةُ مئاتِ الأضعاف.

وإذا ما راح كلُّ واحد من أبنائك يقسم
بالحب لك، وهو يصرخ، كما المنادي،
فسوفَ تَملُّ قِممُك الصخرية
أن تسمعَ وأنْ تجيبَ بالصدى في البعيد.

حين كنتَ غارقاً في الدموع والدماء،
سار أبناؤك إلى الموت، مع أقلِّ كلام،
وصارتْ أغنيةُ الخنجر القاسية
هي صوتُ القَسَم لحبِّ الأبناء.

ثمَّ بعد، حين خفّتِ المعاركُ،
راح أبناؤك، يا داغستاني،
يُقسمون صامتين بالحبِّ لك،
بضرباتِ المطرقة وبالمنجل الرنان.

لقد علّمتَني كما الجميعَ خلال قرون

أنْ نعمَلَ وأن نعيش بلا ضجيج، لكن بشجاعة،
علّمتنا أنَّ الكلمة أهمُّ من الحصان،
وأن الجبليين لا يسرجون خيولَهم من دون حاجة.

مع ذلك، وقد عدتُ إليك من عواصم
بعيدة وغريبة، ثرثارة وكاذبة،
يصعبُ عليَ الصمتُ، وأنا أسمع صوتَ
جداولِك الغنّاءةِ وجبالِك الشامخة.

سامحني، يا قلبي

لقد أعييتُك كثيراً،
كما أذكر،
ليلَ نهار
لم تعرِفْ طعمَ الراحةِ معي،
فسامحني، يا قلبي.

كما لو بالسوط اَستعجِلُ وَخْزَكَ،
آه، وليكنْ أنّي لستُ جيداً.
فلأنني كنتُ عديمَ الرحمة،
سامحني، يا قلبي.

لأنني خلتُكَ من حديد،
وكنتُ مستعداً أن أعرِّضَكَ للرمح،
يا له من جنون مجّاني،
فسامحني، يا قلبي.

وعلى أنّكَ عرفتَ خيانةَ
الأصدقاءِ، مُصرّاً على قسمتك،
ومستبدلاً المتعة بالمصائب،
فسامحني، يا قلبي.

تحومُ أحياناً الغربانُ فوقَكَ،
كما فوقَ ساحة المعركة.
لأجل بطولات الصبر الطويل،
سامحني، يا قلبي.

طفولة

طفولتي، في الجبال بدأت،
لكنني ودعّتُ بلدي العزيز،
فبدا لي: بقيتْ طفولتي
في حيينا الذي هجرتُ.

بدا لي كما لو أنني، أنا الكبيرُ العاقلُ،
تركتُ طفولتي الغبية،
رميتُ الجلباب ولبستُ الحذاءَ
ورحتُ أمشي في المدن الغريبة.

رحتُ أفكِّرُ: حلَّ النضجُ مكانَ الطفولة.
وتناهى إلى سمعي: تدحرجت عربةٌ في الطريق،
وهي تهدر بلا توقف،
برَقَ شريط، والزمن دار،
كدوّامة على جليد نظيف.

لكني، وقد أنهيتُ العقد الرابع،
لم أكبر رغم شيبي،
فأنا، مثل الولد، أطمع بالفرح،
ومثله أيضاً: بريء ومرهف الشعور.

سابقاً كنتُ أظنُّ، أنَّ الطفولةَ – مجرد جزءٍ
من حياة البشر.
لكن، قسماً برأسي،
حياةُ الإنسان – طفولةٌ، ليس إلا،
من اليوم الأول وحتى نهاية المصير!

أَنْشِدْ أغنية كهذه . .

أَنْشِدْ أغنية كهذه،
يا سلطان الأغاني الدنيوية،
لكي يُبعث الموتى
وكي لا يأخذ الموتُ الأحياءَ.

حمّلها من العواطف ما يكفي
كي يعدو الحصان فوق النجوم،
كي يشتعل كلُّ قلب باللهيب،
ولتكونَ نارٌ في كلِّ بيت.

وأنتِ، يا فتاة الجبال،
غنِّ أغنية كهذه في ظلمة المساء،
لكي تمْثُل داغستان
في السرج أمام عيني.
وأنيريها بالحبِّ
على شرف الأرض الغالية،

كي يهتزَّ
سريرُ المهد في كل بيت.

وأنتَ، يا فتى الجبال،
اِبدأ أغنية كهذه، كي أستطيعَ
أنْ أقفَ في وجه السلاح
من أجل الأرض، وبكلِّ بأس.

أنا كلب الحراسة لداغستان

أنا كلب الحراسة لداغستان،
بمُجرَّد أن تصفرَ،
أنتفضُ، أنا المربوط إلى مصيرها،
من جديد كما لو من جرحٍ بسكين،
وأطير تلبية للنداء العظيم.

ورموزُ قِممِها الكتابية، يا للمجد،
ألستُ أنا مَن تكفّلَ بالحفاظ عليها؟
ولتبقى إحدى النساء تضع يدها
دائماً على رأسي بمحبة.

وأن أبقى أحرس المدخل إلى دائرة النجوم،
حيث الأنبياء يتحادثون ليلاً،
بعد أن تمكّنتُ من اجتياز الجداول الهادرة
سباحة على شرف إنجازاتي العظيمة.

المطر يذرف الدموع . .

المطر يذرفّ الدموعَ على خدود النافذة،
كما هو مقدّر له،
فلستُ بحاجة الآنَ لامرأةٍ،
ولا حاجةَ لي للأغنية أيضاً.

واليومَ، لن أسمحَ بالدخول إلى بيتي
لا للواعظ ولا للنمّام.
امنحني، أيُّها المساءُ، مؤنساً،
شرْطَ أن يكون برأس صافٍ.

فحين نكون شرفاء وغير حسودين،
يصبح حلواً الوقت الذي يمنحنا القدر،
حيث نتبادل الأفكارَ
فيما بيننا بلا خوف.
وحيث يرى هذا الجانبُ وذاك
بفعل الإلهام،
مظاهرَ الأفراح الدنيوية
والرموزَ المكتوبة على القبور.

وربما ستظهر لنا الحقيقةُ عاريةً هناك،
حيث السماء البعيدة.
فالمعروف أنَّ الأفكارَ تشدُّ بعضها بعضا،
مثل قلوب العاشقين.

لتطر فكرتي فوق جرف،
ولتصطدم بأخرى،
كي نعرفَ: أتشبهانِ الإيقاعَ،
أم أنهما أقربُ لنَصْليَن؟

ما الذي يناسِبُكَ، أيُّها الجبلي . .

ما الذي يروق لك، أيها الجبليُّ: بيتٌ جديد،
أمْ حصانٌ وفيٌّ أمْ خنجرٌ مسنون؟
- أما أنا فأكثر ما يروق لي الالتزام بكلمة،
سَبَقَ وقطعتُها على نفسي كرجل.
- الداء لا يُجمِّل، ووجهُكَ صار غبياً
من جديد. فما سببُ ذلك، أيها الأخ؟
- ما يجعلنا أقبحُ أكثر من الداء –
كلمة قلناها ولم نلتزمْ بها.
- إيه، يا مَن ألقى الفراءَ على الكتفين،
هل هناك ما هو أجملُ من ربوع الألْب[٣]؟
- وجوهُ رفاقي "الكوناك[٤]" عند اللقاء،
وظهورُ الأعداء – في المعارك.
- بماذا تهمسُ، من بين أسنانك؟
- باسمِ المرأة، التي هجرتني.
- ما الذي تتلذّذُ به شفاهُكَ؟

---

[٣] منطقة جبال الألب المشهورة بسحرها وجمال طبيعتها. المترجم
[٤] الكوناك – كلمة أفارية تطلق على جميع المواطنين - المترجم

- اسمَ المرأة اللطيفة تلك.

- مَن هو المخبول ومَن هو الدميم؟
- العالَم، الذي نعيشُ فيه وإياك.
- مَن هو الجميل وعقله راجحٌ؟
- العالمَُ، الذي نعيش فيه وإياك.

لكنتُ أعطيتُ كلَّ شيء
مقابلَ زمن الشباب . . .

يَنخرطُ الراقصون في الرقص من جديد.
آه، كم أتمنّى لو أمجِّد نفسي بهم!
لكنَّ الزمنَ ليس راقصاً:
لن يجعلَهُ يرقصُ
قسراً لحنُ أيِّ ناي.

أسرْجَ الفارسُ المحنّكُ
بمهارةٍ حصانه الذي
خبِرَ ألعابَ الفروسية،
ولكنْ ما من لجام حديدي تحت القمر،
يسمحُ لكَ أن تسرجَ الزمن كالحصان.

تتكررُ كلماتُ الصلاةِ،
وكم من مرّةٍ يتردّدُ القصيد.
لكنها صحيحة تلك الحقيقة القديمة،
بأنَّ الزمنَ لا يعرفُ التكرار.

"التامادا[٥]" سوف يملأ القرنَ[٦] من جديد،
وسيعودُ القطار وسط أعمدةِ الدخان،
ولكنَّ نجمَ الزمن غير عكوس،
وليس لي سوى الحلم بسنوات الفتوة.

لَكنتُ دفعتُ كلَّ شيء لقاءَ زمن الشباب،
عندما كنتُ أقدُرُ، أنا المجهول،
أنْ أحشرَ قدمي في الركاب،
تحت سماوات القرية،
وأن أجعلَ الفرّوةَ على صدري تحمرُّ.

كثيراً ما أحسَبُ . .

كثيراً ما أحسَبُ أن
الأرضَ بأكملها – بيتي الحميم.
وحيثما تدور معركة ونيران ورعود –

---

[٥] التامادا – لقب يصبغه المشاركون في حفل أو مناسبة اجتماعية على الشخص الذي يدير الأنخاب ويوزِّع الأدوار بينهم. وهي"وظيفة"شائعة في جمهوريات روسيا – المترجم

[٦] المقصود القرن الذي يشربون به النبيذ. وهذه عادة دارجة في القفقاس. المترجم

فإن بيتي يحترق،
يحترق بيتي.

القرنُ العشرون، وليس غيره،
بات في دمي وقدري -
وتتعارك السنين فيما بينها...
حيثما دار رعدٌ ونارٌ ومعركة –
نحترق وإياك، يا قلبي، سوية.

سكان الجبال

يجيدون إخفاءَ الفرح،
إذا كانت ثمّةَ حاجة لذلك.
والغمَّ والمأساةَ لا يهينون:
فلن تحجبَ النظرةُ بالدموع.
ولن تخبو شعلةُ العاطفة
في قلوبهم مع الوقت –
إنهم سكانُ جبالي العالية،
الذين لا يشيبون.

قلوبهم أفسح من ربوع الدون[٧]
وسط الجبال الضيقة،
وضميرهم لن يصبح أبداً أسودَ
تحت الفرّوة السوداء.
لن ينسى أغانيهم وأنخابهم
كلُّ مَن يسمعها –

[٧] الدون – منطقة معروفة في روسيا ومشهورة بسهوبها الخضراء - المترجم

إنهم سكان جبالي الشامخة
الرائعون!

والصداقة تلقى في قلب كلٍّ منهم
صداقةً ووفاء، ولكنْ،
ينقلبُ ذلك القلبُ إلى فولاذ،
إذا ما قابلوا العدُّو في المعركة.
هم مستعدون للتضحية بحياتهم،
إذا كان ذلك ضرورياً..
إنهم سكان جبالي العالية
الأشداء.

شعبي ليس كبير العدد،
لكنه بأفعاله عظيم.
سيقدِّمُ دمَهُ قطرةً قطرة،
كي تنبتَ القطرات أزهاراً.
ولا يجوز له ألا يكون مؤمناً،
فهو مخلص للوطن

في انعطافات الحياة
الأكثر قسوة وصعوبة.

خلعْتُ قدمي وأسمع عتابَ أبي

خلعْتُ قدمي وأسمَعُ عتابَ
أبي، وقد جاء للمساعدة:
"إذا ما مشيتَ في الدرب،
يا بني، فاحرص ألاّ تتأذى ساقك".

"أبي، ألم يعد هناك دروبٌ
معوجة، سبَقَ وقتلتْ أناساً كثر؟"
"لكنك، أعطيتَ عينين
لكي تختار درباً مستقيمة".

"ولكن ليس بمقدور العينين
أن تتحاشيا السراب،
وقد أدركتُ هذا، المجدُ لله".
"إذن، اطلب النصيحة من الرجال
الحكماء، لكي تختار الطريق".

"أبي، إن نصائحهم هي دائماً هكذا،
بحيث لا تتفق على رأي واحد".
"إذن، اسأل رأسك بالذات،
في أي الدروب عليك أن تسير".

"كم من المرات بدأ رأسي
يدور من مختلف الأخبار".
"كان عليك أن تزن في عقلك
كلام الآخرين منذ البداية".

"علّمني، ساعدني يا أبي، كيف ذلك،
كي لا أخطئ فأتبع الضلال؟"
"اسأل عن ذلك قدمَكَ المتورمة،
التي مزقّتَ أوتارَها".

ثلاث شقيقات

تيك - تاك، تيك – تاك!
تارة إلى الجبل، وتارة من الجبل،

دون أن تحسب لنفسها فضلاً –
تيك – تاك، تيك - تاك –
ثلاث أخوات شقيقات
يتحركن في دائرة بلا كلل.

تيك – تاك، تيك – تاك!
الأخت الصغرى،
صوتها لا مبالٍ رنّان –
تيك – تاك، تيك – تاك –
تطير بمنتهى السرعة –
كطفل مدلل لعصور الشيب.
تيك – تاك، تيك – تاك!
والأخت الوسطى
لا تسمح لنفسها بهذا الجري –
تيك – تاك، تيك – تاك –
إذ أن فترة النضوج
تفضّل الصبر على التعجّل.
تيك – تاك، تيك – تاك!

وأختهما الكبرى
تسير أبطأ بكثير، في الدائرة
من المهد وحتى الممات
وهي تذكّرنا بنفسها.
تيك – تاك، تيك – تاك!
ما إسرع انقضاء الأيام!
تيك – تاك، تيك – تاك!
ما أقصر الليالي!
تيك – تاك، تيك تاك!
أعطِ سير العقارب حقه:
مع كل دقّة "تيك – تاك"، تصبح الحياة أقصر.
إذا تأخرتَ لحظة – تقلع الطائرة،
وإذا أضعت ساعة من الوقت – لن تنهي أعمالك.
وإذا أبطأت في الحب – المرأة لا تنتظر،
وإن عشتَ ليوم غد، فستمضي الحياة فجأة.
تيك – تاك، تيك – تاك!
أسرِعْ، ولا تنتظر،

فلن تستطيع أن تعوِّض دقيقة واحدة.
تيك – تاك، تيك – تاك!
تطلّعْ إلى العقارب.
طالما أن"تيك - تاك" تنبض في صدرك –
فمن الخطر أن تمزح مع أيٍّ منهن.

هواجس

أنا، وقد تجاوزتُ دربَ التفكّرِ الوعر،
أتوجّهُ إلى هواجس الأرق مع الدموع:
"تعبتُ أنا، أيتها الهواجس!
دعيني أرتح.
فقد حلَّ الليلُ في الفناء،
والوقت تأخّرَ لتتزاحمْنَ.

عند الصبح سأحتاجكنَّ من جديد،
أما الآن – فوداعاً حتى شروق الشمس.
ولتذْهبْنَ، كما يختفي الخنجر في الغمد،
بعد عودة المحارب من المعركة.

ولتأتيَنَ إليَّ بلا تباطؤ
ما إن يبدأ الشرق بالتورد فوق الجبال.
وأما في الليل فلتذهبن إلى الزاوية،
حيث وضعت أرجوحة ابنتي التي كبرتْ.

قوسُ قزح رفيع معلّق في الأفق،
فلستُ بحاجة لشعلتكن ليلاً، أيتها الهواجس.
ولتخمدنَّ، مثل الفحم في الموقد،
بعد أن حضرّنا عليه العشاء".

"لا تتضرّع! فنحن نأتيك متى نشاء،
وليس من سلطة أقوى منّا في الدنيا..."
تذهب الأحلام منبوذة،
ويتمزّقُ القلبُ إلى أجزاء.

ماما

"ماما" بالروسية، وبالجورجية "نانا"،
وباللغة الأفارية "امرأة" حنون.
لهذه الكلمة مصير خاص
من بين آلافِ الكلمات على الأرض وفي المحيط.

بعد أنْ تصبحَ أولَ كلمةٍ في سنِّ المهد،
تدخل حيناً في دائرة الضباب
لتصبحَ فجأة آخرَ نداءٍ
على شفتي مقاتلٍ في لحظة الموت.

هذه كلمةٌ لا ريبَ فيها،
حتى في السكينة.
لأن الكلمات الأخرى ترغب،
أن تعترفَ لها راكعة.
الينبوع يتمتمُ بهذه الكلمة
وهو يُسدي خدمة للإبريق،

لأنه يتذكّرُ القمّةَ الجبلية،
التي اشتهرت بها أمّه.

والبرق يخترقُ الغيمَ من جديد،
وسأسمعُ، بعد هطول المطر،
كيف تردد هذه الكلمة قطرات المطر،
وهي تتغلغل في الأرض.

سأتنهد في السرِّ، متحسّراً على شيء ما،
وسأخفي دمعة في ضوء النهار الصريح:
"لا تقلقي – أقول لأمي –
فكلُّ شيء عندي على ما يرام، أيتها العزيزة".

دوماً تقلق على ابنها،
عبدةُ الحبِّ المُقدَّسِ العظيمة،
"ماما" بالروسية، بالجورجية "نانا"
وأما بالأفارية فـ"امرأة" حنون.

الأخت

لم يكن مقبولاً الحديثُ عنها،
لم يكن مقبولاً أن تُهدى أغاني،
لكن من واجبِ مطربي الجبال عندنا
أنْ يُنشدوا أجمل الأغاني للأخوات.

عندما تخرج أنتَ في مسير أو إلى معركة،
يؤلمُها القلبُ عليك وتطيرُ خلفك.
وستشعرُ الأختُ بالسأم ولن تنام،
مثلما يمكن أن تحزنَ وحدها الأمُّ.

وإذا لم يبق سوى
قطعةُ خبزٍ يابس لشخصين،
سوف تحدج الطعام كارهة،
كي لا تعرف أنتَ أنها جائعة.
وإذا كنتَ مريضاً،
ستسهر الليالي قرب سريرك

دون أن تنام، وهي تتألم
وسيكون أهون عليها أن تكون هي المريضة
من أن تنظر إلى المريض.

لم يكن مقبولاً الحديث عنها،
لم يكن جائزاً أن تُهدى أغاني،
لكن من واجبِ مطربي الجبال عندنا
أنْ يُنشدوا أجمل الأغاني عن الأخوات.

أخي الكبير

جنديٌّ وليس نائباً،
استشهد قرب نهر الفولغا في معركة ضارية.
والأمُّ العجوز لا تزال تلبسُ الحداد إلى الآن،
يأكلُها الأسى والحزن.

يؤلِمُني وأشعرُ بالمرارة
لأنني أصبحتُ أكبرَ من أخي.

إلى حفيدتي الصغيرة
"شهر"

لماذا تبكين، يا فرخي الصغير؟
ما الذي حدث؟ هل كنتِ تحلمين؟
لديكِ أمٌّ وأب،
وكلُّ العائلة تجمّعت عند سريرك...

كم من السنين قضيتُ يتيماً كاملاً –
دون أنْ أكبتَ الحزن أو أخفيه...
أنا، جدُّك، مَن كان عليه أن يبكي...
أما أنتِ فلماذا كل هذا البكاء المرير؟

بالحَسَدِ لم يلسعوكِ،
لم يعذِّبُوك بالكذب وبالخيانة.
وأمك ترنم لك
أجمل الأغاني

أنا أعرف، خيانةُ الأصدقاء كيف تكون،
وكيف تكون كراهية الأعداء.
لماذا تبكين؟.. أنا، المصابُ بجرحٍ خارق،
مَن كان عليه أن يبكي حزناً...

أنتِ لم تعرفي الحرب ولا النار،
التي أرادت إحراق كلَّ شيء.
ما أهدأ السماء فوق رأسكِ!
في هذا النهار الآمن.

أنا فَقَدْتُ إخوتي في الحرب
وألَمُ الفَقْدِ لا يهدأ...
فلماذا تبكين؟.. يجب أن أبكي أنا
مَن اختبر الحياة بكل ما فيها...
وفي الجواب، تقول الحفيدة
كما فهمتُ في لعثمتها:
"كل هذا سيمرّ عليَّ، يا جدي،
وها أنتَ بقيت حياً وقد خبرتَ كل شيء...

في هذا القرن الخطير،
في عالم مليء بالمصائب،
كيف لك أن تعرفَ قلقك؟..
لذلك أنا أبكي، يا جدّي..
ولكنْ لا أفهمُ، لماذا تبكي أنت؟.."

مع كل الحبِّ للمــرأة

إذا كان ألفُ رجل في العالم

إذا كان ألفُ رجلٍ في العالم
مستعدين أنْ يتقدَّموا لخطبتك،
فاعلمي، أنَّهُ بين هؤلاء الألفِ رجل
أكون أنا – رسول حمزاتوف.

وإذا ما أغُرِم بك منذ زمن بعيد
مائةُ رجل، تجري دماؤهم وتَهْدُر،
فليس من الغريب أن تكتشفي بينهم
جبلياً اسمه رسول.

وإذا ما أُغرم بك عشرة
رجالٍ حقيقيين،
من دون أن يخفوا نيرانهم،
فمن بينهم، وأنا أبتهجُ وأتفجع،
سأكون أيضاً، أنا رسول حمزاتوف.

وإذا جُنَّ بك واحد فقط،
يا مَن لا تهوى الوعود،
فاعلمي، أنه جبليٌّ
من قِمم الضباب يدعى رسول.

وإذا لم يُغرَمْ بك أحد
وصرتِ حزينةً أكثر من أمسيات الغروب،
فهذا يعني أنَّ رسولَ حمزاتوف
قد دُفِنَ في صخر الجبال.

منديلان

في يومٍ ما، مع قدوم الربيع،
حملتُ من بلادٍ بعيدة
كذكرى عن بقاع غريبة،
زوجاً من المناديل البيض لامرأتين.

دارتْ على كلتيهما، كما الجميع،
دورةُ الحياة العتيِّة:
هَجَرَ إحداهما الصديقُ الحبيب،
وعادَ إلى الأخرى – الصديق الرقيق.

الأولى، وقد فَقَدَتْ عقلَها
من الحزن في قرية جبلية،
أعادتْ صباغةَ المنديل
بلون أسود كالليل.

أما المرأة الأخرى فكانت
ثمِلةً من الفرح في القرية،

وإلاّ لماذا أعادت بنفسها
صباغة المنديل باللون الأحمر؟

على جباهِ الناس
مكتوبةٌ علامةُ المصير الدنيوي،
كما لو في ألواح محفوظة.
وهاتان المرأتان بمنديليهما
تقفان أمام ناظري على الدوام.

كم مرّةٍ أَعِدْتُ تلوينَ الكلمات
بألوانِ الأمل والقلق،
بألوان الحبِّ والأسى والانتصار،
في الدربِ وفي البيت.

"ضربتُ" موعداً لامرأة

لا أريدُ، أيها القفقاس المتمرِّد،
أنْ تُربكني بأصواتِ الرصاص؛
لأنني "ضربتُ" موعداً لامرأةٍ
في هذه اللحظةِ المليئةِ بالنجوم.

لا تتاجرْ بالخيول الفتية
في القرية المحصورة بين الصخور،
ولا تُرسلِ الرُسُلَ على الجياد،
والحِم الدعاة في الساحات.

كنْ لطيفاً، أيها القفقاس المنتفض،
أعطِ الأمرَ للغيوم السوداء
بألاّ تتصادم بالجباه،
كما الثيران تحت السماء الحارقة..
أتوسَّلُ إليك:
اهدأ

في هونيب[٩] المندفع، كما في هونزاخ،
كُفَّ، وأنت تتلألأ عالياً،
عن قذف القمر "بالباباخا[١٠]".

وبينما أُمجِّدُ وخْزَ الدم الحار،
أنا ضربتُ موعداً لامرأة،
فلا ترعبْها بالانهيارات،
أرجوك، يا قفقاس، كنْ متفهماً.
أرجوك:
تمهّلْ
حين تتركُ الجيادَ تعدو، وأنت تطلق النار،
ولا ترنَّ بفولاذ من صنع أموذغيني،
ولا تنفث في القمم بزمهرير لا يطاق.

لوأنَّكَ رأيتَ فقط، لأيةِ
امرأة"ضربتُ"موعداً،
لكنتَ قُمْتَ بنفسك، على الأرجح،

---

[٩] هونيب وهونزاخ – مناطق في داغستان
[١٠] الباباخا – غطاء للرأس مصنوع من الصوف يتميز به أهالي القفقاس. المترجم

بتغيير الكثير مما لدي.

لا تلمس الجروح القديمة، يا قفقاس،
ولا تضع الحواجز في الطريق.
الغِ الأمطار لهذا اليوم،
الغِ القلق لهذا الليل.

لا ترعد بأمواج قزوين،
التي تجعل الصخور ترتجف،
لأنني"ضربتُ"موعداً
لامرأة في لحظةٍ مليئةٍ بالنجوم.

بعد أن ذبتُ في حرقة الحب . .

بعد أن ذبتُ في حرقة الحبِّ،
وخبرتُ آلامَ الشوق،
رسمتُ وجهَكِ على رمل الشاطئ،
تماماً كالمراهق بعد الفراق.

تحت شظيةٍ صخرية في الجبال
كان خيالُكِ يلوحُ في مخْدَعِ السماء.
وعلى الزجاج المتجمِّد لعربات القطار،
كأنه نقش بأزميل في الطريق.

هذه هي مسودّةُ الأشعار المكنونة،
حيث ظهر وجهُكِ تحت يدي
بسهولة، كما لو أنَّهُ توقيع،
إلى جوار السطر الأول.
رسَمْتُ بعقلي المتخيل
ملامحَ قامتك على المكعبات،
وكللتُ بها، مثل نقش
الفضّةَ على مقبض السلاح.

بالأشعار رسمتك عاشقاً،
في الكثير من صور النساء...
رافضاً حدودَ الاحترام،
ودون أنْ أتمكَّنَ من بلوغ الكمال.

الثبات على العهد

كان عمري ست عشرة وعمرك عشرين،
وكان يربطنا سحرُ الهوى،
فأَقْسَمْتُ أن أحفظَ العهدَ
وأنا مستسلم للحظ المقدّس.

ها أنا أكملتُ عامي العشرين!
نحن أقران،
وتتزيِّنُ الغابات بالخُضْرة،
لكني ما زلت وفيّاً لكِ في الحبِّ،
يا بنت العشرين، كما كنتُ دائماً.

وها صرتُ في الثلاثين.
وقد مضتِ السنون،
ولكني حفظتُ العهدَ بصدق وعناد،
يا بنت العشرين، كما كنت دائماً.

والآن تجاوزتُ الأربعين.
ولكنْ نكايةً بالسنين التي امتدت، كما الفضاء،
أنا ما زلت أحفظُ العهد حتى الآن،
لذات العشرين عاماً، بكل جنون.

قلْ، سعادةُ مَن . .

- قلْ، سعادةُ مَن هي الأكثر فرحاً بين السعادات؟
- ذاكَ، الذي لم يعرف الفرحَ من قبل.
- قلْ، وحزنُ مَن هو الأكبر من بين الأحزان؟
- ذاك، الذي لم يعرف الحزن أبداً.

- ونحن وإياكِ، حبيبتي، نعرف كلَّ شيء
منذ أمد بعيد، بدءاً بالفرح وانتهاء بالفقدان.
- ليس غريباً أن نعرف، ليس غريباً.
فالحياةُ كانت تدقُّ بابنا بشكلٍ دائم...

- ماذا خلف النافذة: غروب أم شروق؟
أهي الريح تصفرُ أمْ ناي يغنّي؟
ماذا خلف النافذة: أهو الكرَزُ يُزهِرُ؟
أمْ هي عاصفة شتائية تهب؟
- ماذا خلف النافذة، الأمرُ سيّان،
كوني على ثقة، ما زلنا وإياك شابين.

لِنَصُبَّ ونشربَ الخمر المعتّق،
كي تدقَّ الحياة بابنا باستمرار.

التصقي بخدكِ إلى كتفي،
وسوف نطير وإياك عبر الثلج
وظلام الليل، إلى هناك،
إلى حيث تتعانق شجرتان مزهرتان.

صباح

ينهضُ الفجرُ فوق عرفِ الجبال،
فيكتسبُ الثلجُ لوناً فضياً.
والصديقةُ تسمعُ كورسَ الطيور،
بعد أن فتحتِ النافذة.
"بماذا حلمتِ، يا عزيزتي؟"–
يغني الراعي مع بزوغ الفجر.
" لقد حلمتُ أنك جئتَ إليَّ"–
تردُّ عليه في الجواب...
أبْحَرَ زورقٌ في بحر قزوين،
وقد أرخى بظلٍّ منحرف.
هكذا يُولَدُ في داغستان
يومٌ جديد في هذه الساعة.

حوار

"أخبرني..." – "ماذا؟"
"أنا أسألكَ عن حياتك..."
"حياتي ليست على ما يرام ..."
"لماذا؟"
"لأنكِ تعرفين، حبيبتي، على الأرجح
أفضلَ مني كيف أعيش".

"ها – ها – ها! لعلي متنبئة..."
"لا تضحكي، عزيزتي. لا تمكري.
فكلُّ أوراقي الفارغة، بل والملآنة
مكشوفة بالنسبة إليك.

"الحبُّ لا يبتغي المنفعة في اكتشافاته..."
"في حين أنني أغرَقُ في الحزن،
وأنت تعرفين جميع الممرات والمخارج في قلبي،
كما تعرفين بيتك بالضبط.

أين النظرة الحنون، التي كانت مفعمة بالحماس
أكثرَ من مرة، كما في لحظة الاكتشاف ؟
كما لو أنَّ الزمنَ استحال حدأةً
وسَرَقَ الدهشةَ من العيون!

كل كلمة مسموعة إلى حين،
والختم مرفوع عن كلِّ لغز.
وقد استطعتِ أن تفكي ما هو دنيوي فيَّ،
وما هو سام، منذ زمن بعيد ".

"ألمْ يصبح مملاً كلُّ شيء بالنسبة لك؟
فأنت لا تريد أن تكون خادماً للماضي
وتتطلع إليه كأنه فزاعة،
كانت طائراً نفيساً جميلاً في يوم من الأيام ".

"لستِ محقة. فما تقولينه مجرد سخافات.
فأنا لا أنكر ذنبي:

لقد انهارت أمامَكِ جدران القلعة،
وهذه الجدران ما كان عليها أن تنهار.
أتضحكين؟"
"لا! بالأمس فقط كنتُ أحسَبُ
أنّي أعرفُكَ،
وأرى أنك لستُ محقة،
و أنَّ حزنَكَ الكبير
بالفعل هو جديد بالنسبة لي ".

نتبدَّل مع السنين . .

نتبدل مع السنين كثيراً.
وها ثلاثُ نسوةٍ ينظرن إليَّ.
"لقد كنتَ أفضل"–
قالت إحداهن.
سبق والتقيتُ بها قبل عشر سنوات.

الغروب الناري يسبح في البعيد
وهو يلامسُ جبالَ الوطن المغطاة بالثلوج.
"أنتَ ما زلتَ كما كنت" – تقولُ الثانية،
تلك المنسية قبل خمس سنوات.

وتهمُسُ الثالثة لي بحرارة،
دون أنْ تفكَّ يديها الغاليتين،
وقد ملأها الخفقان:
"كنتَ أسوأ... قلْ أنك لم تغرم بهن..."
ومن دون أن تُفْصِح عما كنتُ عليه.

دولا لاي!

الفتى الجبلي يُنْشِدُ أغنية عن إحدى الفتيات،
وعليك أنْ تخمّن في أيُّهن هو مغرم.

فبدلاً من اسم الحبيبة يتردد تحت القمر:
"دولا لاي، دولا لاي، دولا لاي!"

الغيرة تحرقُ القلبَ في موقد سري،
إذْ عرفت الزوجة بالصدفة،
أنَّ الزوج راح يدندن في الفناء،
وهو يسرج الحصان:
"دولا لاي، دولا لاي، دولا لاي!"

أيتها النجمة فوق جبل عالٍ،
احترقي في السديم المعتم، أضيئي وتوهّجي.
فأنا، وبينما أنظُمُ الشِّعرَ، أدندن أحياناً:
"دولا لاي، دولا لاي، دولا لاي!"

عبثاً عرفتُ الجدَّ . .

عبثاً عرفتُ الجدَّ
ولامستُ القلم.
عبثاً أيقظتُ الرحمة
باسمِ الخير.

عبثاً تنقلتُ في الأرض،
المثقلة بالقلق.
وكلُّ الدروب في الدنيا –
قطعتها مثل درب واحدة.

عبثاً يتوعدونني بالنار.
وعبثاً أغرمتُ
حتى الثمالة بألف امرأة –
فكلهن مررن مثل واحدة.
عبثاً جادلتُ الجهلاء
حتى تصبّبَ وجهي عرقاً

فقد تنهار كل الجبال
قبلَ أنْ تقنع جاهلاً.

عبثاً ندبْتُ الموتى،
طالما أني راحل
إلى مملكة الباهتين بفعل الزمن
على مرأى من الأحياء.

عبثاً آمنتُ بالحظِّ
في أسوأ يوم من الأيام.
مَن أنا؟ وماذا أعني؟
ربما لا وجود لي؟
"كلا، ليس عبثاً!"–
يجيب ذلك السطر
من بين آلاف السطور،
مثل ابنتي بالضبط.

كلا، ليس عبثاً!"–

تعلن واحدة من النساء،
كانت احترقت، مثل الخريف،
وظلّت وفية لي.

كلا، ليس عبثاً!" –
تهمسُ الورقةُ الحمراء
في ساعة الغروب،
وقد سبق وتغنّيتُ بها،
ثم تحط بين الأسطر.

كلا، ليس عبثاً!" –
تجيب الأشواك
وهي تمزّق عقَبَ قدمي.
"كلا، ليس عبثاً!"–
يقول أحدُ أقربائي
وهو يلقِّمُ السلاحَ سراً.
وفوق الجرف العالي

تمرُّ حياتي أمامَ عيني،
في البَرْدِ وفي الحرِّ من جديد،
عروساً تارة، وتارة أرملة!

منذ أيام الصبا

منذ أيام الصبا
وأنا أشنُّ غاراتٍ ضد الشرِّ
دفاعاً عن شرفي ووجداني.
والحبُّ كان غارة بالنسبة لي –
فقلبي مجروح إلى الأبد.

ما أحدّ السهام، وأنا، طالب الحبِّ،
أنتزعها من صدري على الفور...
لكنَّ الجراحَ تئنُّ، والروحُ غارقة في الدم،
ولا أقوى على مقارعة الغرماء.

أكثرُ السهام دقّة سهامُ أقربائي،
فهم يعرفون أكثرَ من أي كان
كيف يسددون، لتكونَ الإصابةُ أكيدة،
وفي أكثر الأماكن إيلاما لي.

دعهم يطلقوا النار... فهل من مُنْشِدٍ

لم يصب قلبه بجروح؟
احفظنا، أيها الزمنُ، حتى القبر
من القلوبِ الباردةْ الخاليةِ من الجراح.

الدم يلعب في العروق، وأنا أغني،
ومازال باكراً ذهابي للتقاعد.
أعطوني مجرد إشارة – وأنا سأموت
من أجل حبي في معارك مقدسة.

وأنتَ، يا نشيداً لم يعمه المديح،
احفظِ الشرفَ من جيرة الذئب.
ففي النهاية أنا أصبحتُ كبيراً،
وتركتُ طفولتي مع نهاية العمر في تسادا.
آه، أيتها النساء!

قبلَ أنْ أعرفكنَّ، أن أعرفكن
كنتُ أعيشُ على شاطئ جدول.
ومنذ ذلك الحين، بعد أن عرفتكن – قفزتُ
على الفور في التيار الهادر.

كان التيار بلا رحمة،
راحَ يهزُّني ويرميني ويخبطني على الصخور...
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!

قبل أن أعرفكنَّ، أن أعرفكن،
كنت أتدفأ عند الموقد وحسب.
لكن ما إن سمعتُ الاسمَ حتى أصابني
وهجٌ على الفور، كأنني وقعتُ في جهنم.
منذ ذلك الحين والنارُ تحرقُ قلبي
طوالَ الليل وطوالَ النهار...
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!

تخاصمتُ مع أصدقائي الأوفياء
غير مرة وبقسوة،
وبسببكن افترقت أنا
وأصدقائي المخلصين.

أحياناً لا أمدُّ يدي للسلام،
وأحياناً تصير يداي قبضتين...
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!

أحدهم دفع آخر – يا للعيب والعار! –
من على حافة الطريق بسببكن.
وأنا نفسي في الطريق الصعب إليكن
وقعتُ في الفخ غير مرة.
وكنتُ أغارُ. وكنت أحزن.
وصادف أني سقطتُ قتيلاً...
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!

ثمّةَ رأي في الجبال عندنا:
الغيرة لا تليق بالرجل!
إلا أنّه يستحيلُ إثبات ذلك
للقلب وللعقل سواء.

قدٌّ ممشوق، وقامة وابتسامة، ونظرة...
وكيف لا تغار؟ يا للسخف!
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!

بمجرد أن تومئن برؤوسكن،
أصعدُ مهرولاً على درجات السلّم –
وأصبح شخصاً آخر:
يبرق الضوء، ينطفئ الضوء...
أنتنَّ نوري القريب والبعيد،
فليس من عمل لي غيركنَّ حتى الموت!..
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!

أحياناً أغضب عليكن –
فأعاني وأتعذّبُ فوق طاقتي...
أنا أيقظتُ الحبَّ بالحزن،
وبالحبِّ قتلتُ سكينتي...

كم أنتنَّ متشابهات في جمالكن،
كم أنتن كلكنَّ مختلفات!
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!
ألم أبدِّل ألفَ مصيبة
وألفَ سعادةٍ بسببكنَّ؟
فقد خنتنني أكثر من مرة،
بينما كنتُ وفياً لكنَّ على الدوام!
وكلما شتمناكنَّ بقسوة أكبر
كلما أصبحتن أشهى وأطيب،
آه، أيتها النسوة، آه أيتها النساء،
أولاء النسوة أنفسهن، وتلك النساء ذاتهن!

الموت لن يقترب مني

الموتُ لن يقتربَ مني –
فأنا إلى الربيع أنتمي،
طالما أنني أزرعُ القمح.
سوف يكفلُني الربيعُ،
وأوراقُ الحديقة الوارفة،
ولسوفَ يبتعدُ الموتُ صاغراً...

كلا، لن يأتي الموتُ لأجلي،
طالما أنا أشيِّد بيتاً
على الأرض العزيزة بنفسي.
فما إن يرى كيف يرتفع الجدارُ،
سينطلقُ الموتُ هارباً
إلى الغابة الممتدة خلف الجبال...

كلا، لن يتجرأ الموت أن يأتي
ذلك الموت الأعوج، النحيل كعود ثقاب،
طالما أنني ممتلئ

بالأشعار، والأغاني...
الحبُّ أقوى من كل موت!
فلا تنعق، أيها الغراب الأسود.

لن يجري الموت خلفي،
فهذا يعرِّضُه للحرب –
إذْ سوف أقاتلُ حتى آخر نفس!
وما إن يعرف ردي المرعب،
فسيهرب مثل العنزة إلى الجبل،
فقط سترتفع سحُبُ الغبار!

لن يقترب الموت مني...
وإذا ما ألقى نظرة، وهو يتسكع
ليلاً في ضوء القمر،
فسوف أقول له: "هيا اخرجْ من هنا!
فأنا مستلق وقد احتضنتُ
المرأة الحبيبة!"

وإذا ما غامر وعاد إلي من جديد،
فلن أسمح له بالدخول، ليكن بعلمك!

سأقول له: "انظر، أيها الشرير،
أنا محبوب من قبل الأطفال والأحفاد،
وأنا من سلالة لا تنقرض!
وإنَّ خلودَ الحياة والروح –
لأمر ملغز..."

وإذا غامر وقرر العودة للمرة الثالثة
فسأقدم له قصائدي: "اقرأ!
لم أسرقْ شطراً واحداً.
ولم أكذبْ يوماً في أشعاري.
هذا تعرفه كل منطقة هونزاخ،
ويعرفه الأولاد والبنات".
لا، لن يأتي الموت لأجلي،
طالما أنني أخدمُ الحقَّ
والخير في هذه الأرض الغالية.
ولكن إذا انفضحتُ،
وفعلتُ أمراً مشيناً، يا أصدقائي،
فدعوا موتي يأت حينذاك
وينل مني على الفور!

أقسم أني سأهمس له وقتها:
"ادخلْ، أيها المرغوب، بسرعة،
فأنا انتظرك منذ زمن بعيد -
ووارني التراب البارد الرطب..."
لكنَّ هذا لن يحصل!
فالموتُ لن يأتي لأجلي.

لن أنساكِ . .

لن أنساكِ،
فهل ستنسينني أنت؟
وتنسينَ هذه الليلة، والنهر الصغير
الذي يسرع إلى مكان ما؟

والأحجارَ، والدربَ –
الوحيد المؤدي إلى ثلاث قرى،
والأشجار، التي تسمّرت
في وضعية السجود؟

لقد غادَرَتْها الشمسُ،
إذ غابت خلف تلك الصخور.
لا تنهضي، أيتها الشمس،
فكم تعبتِ طوال النهار!..
ومرافقُنا ينام في السيارة
في الأسفل، في مكان ما من الوهدة...

لا تنهض، أيها الصديق،
قبل حلول الفجر!..

كنتُ سعيداً معكِ حتى الموت
في هذه الليلة –
التي بدت لي
أقصر من لحظة...

لن أنساها...
وأنت هل ستنسينها؟
ربما، أنت أيضاً سوف
تحسبين ذلك سعادة؟
شيئاً واحداً أخشاه،
أن تنئين بوجهك، فجأة،
عند اللقاء، فيما بعد،
كما لو أنك لا تعرفينني...

أوه، ما العمل مع هذا الحب؟

أوه، ما العمل مع هذا الحب؟
مع جوى يموتُ كلُّ شيء بدونه؟
تخيفه الوشايات والموانع،
كما التقاعدُ يخيف أحداً ما...

وبه لا يحتفلون مع الأوسمة،
وهو لا يعرف الإجازات
ولا العطلَ الرسمية... فشعلةُ
القدر لا تهجرني ساعة واحدة.

أنا أحسدُ مَن في وحدته،
وقد خرج للتقاعد، يحيا الحياة
من جديد في المذكرات... وماذا لدي؟..
ولادةٌ وموت، والحبُّ بينهما...
فالنظرات لا تخضع للقياس،
والكمبيوترات عاجزة عن الحبِّ...

أريدُ أنْ أرفعَ راية الحبِّ
في جبالنا بجوار محمود[١١].

[١١] محمود – المقصود هو محمود محمّيدوف ١٨٧٠ – ١٩١٩ شاعر غنائي آفاري. اشتهر بقصيدته الطويلة "مريم". المترجم

تخضرُّ الحقول . . .

تخضرّ الحقولُ والمروج،
تتألقُ الربوعُ والوديان،
كما لو أنَّ الجبليات نظّفنها بالضبط،
ومن ثم مَدَدْنَها من حولنا.

تخضرُّ الحقول والمروج،
وأما نحن فنشيب أكثر وأكثر، يا صديقي.

تلألأَ الفجرُ، تلألأ،
والغيمة صارت فجأة وردية.
والأرجوان نثر على رؤوس الثيران
بمهارة أياد نارية.

تلألأَ الفجر، تلألأ،
ونحن نشيب أكثر فأكثر، يا صديقي.

تزرقّ الأمداء العابرة،
ودائرةُ السديم خلف الغيوم تصبحُ أشد زرقةً،
الغسقُ الأزرق يغمرُ الجبال،
ورنينُ الجرس أزرق.

تزرقُّ الأمداء العابرة،
وأما نحن فنشيب أكثر وأكثر، يا صديقي.

تستعيدُ شبابَها الحقولُ والوديان...
لا تمكرْ، وما العيب في هذا،
ولا تكذب، كما لو أنّه وبرُ أشجار الحور،
وليس الثلجُ على الصدغين تمدّد.
فنحن وإياك لسنا حقولاً، بل قمم،
بيضاء دوماً حتى في نهار صيفي.

توقّف، أيها الحب
توقف، أيها الحب، مع أنك مُشتهى دوماً!
وأنتِ اخرسي، أيتها الأغنية، واصمتي...

ألا تسمعين، كيف يئن العجوزَ
في الليل من الجرح القديم...

توقف، أيها الحب!.. ولتخبئ الأغنية صوتها،
وأنتِ اخرسي، أيتها الأغنية، واصمتي...
ألا تسمعين، كيف حفيدتي،
بنت ابنتي الصغرى، تبكي في الليل...

توقف، أيها الحب... واعلمْ أنَّ رسالة رهيبة
وصلتْ إلى المرأة في القرية أوانَ الليل...
"قُتِلَ ابنُك برصاصة مجرمة..."
قفي، اخرسي، أيتها الأغنية، واصمتي...
توقف، أيها الحب، اخرسي، أيتها الأغنية!..
ففي مكان ما كَمَنَ الحقدُ والمصيبة...
- لا! – أجابَ الحبُّ.
- لا! – قالتِ الأغنية – أبداً!

نظرتُ إلى السماء . .

نظرتُ إلى السماء – أذعنتِ السماء:
طارت طائرة، مخترقة السحاب.
وحدَهُ قلبي لم يذعن لي،
ففي تحليقه – أنتِ وحدكِ القبطان.

نظرتُ إلى البحر – أذعنَ البحر:
خوضت في الماء – كانتِ الموجةُ طيبة.
لكنَّ أفكاري لم تخضعْ لي:
فقبطانُ (ها)، وربّانها – أنتِ وحدك.

أنا حصدتُ الحقلَ، وغرستُ الأشجار،
حرثتُ – فاستجابت الأرض لي في لحظة.
حبٌّ واحد فقط لم يستجب لي:
بمجرد أنْ تصفّري – تلقينني عند قدميك.

أغنية عن الحب

أيُّ الألوان الزاهية أكثر روعة؟
قوسُ قزح خلف ذلك الجبل!
وما الأكثر ضياء منه في الدنيا؟
قوس قزح الحبِّ عند البشر!

ما هو الأكثر احمراراً في الدنيا؟
الشعلة في منتصف الليل، والدمُ وقتَ الظهيرة.
وما هو الأكثر احمراراً وأكثر؟
الحبُّ الأول فقط.

ما الذي يُزهرُ ببهاء أكثرَ الجميع؟
العشب في شهر أيار.
وما الذي يزهر أكثر وأكثر؟
كلمات العاشقين.
حزينٌ اللونُ الطبيعي
للأغصان العارية.
واللونُ الأصفر للحب غير الوفي
فقط هو الأشد حزناً.

ما هو الأكثر سواداً؟
الضجر،
والليل عندما يغيب القمر.
وما هو الأكثر فالأكثر سواداً؟
الفراق،
المكتوب للعاشقين.

نعم، لقد ذهبتِ، وانتصرتِ،
والجدل لم يكن سهلاً.
وأنا بصعوبة أوجِّه لنفسي
العتابَ الذي كان مقرراً لكِ...

لقد نزعتِ أسلحتي بمهارة
ثم اختفيتِ، من دون محبّة.
وأنا سأطلق على نفسي السهامَ
التي جهزّتُها لكِ.

أغنية

لقد أُعطيتِ مفاتيح
مصممة لبابين:
لسعادتي
ولتعاستي.

افتحي أيَّ باب –
فالقرار يعود لك.
أنا لا أخشى الفقدان،
ولا أخاف الهاوية.

أعطيت مفاتيح –
وأنتِ لن تعيديها:
واحد – لدخول الجنة،
آخر – لدخول النار.
وأنت تقتحمين مصيري،
ماذا ترين في الحلم؟
أفعى مجلجلة
أم طيراً في الأعالي؟

لك أعطى القدر

المفاتيح بلا كلام زائد:
مفاتيح لبابين،
مفاتيح لعالمين.

أعطيتِ مفاتيح –
فلا تفلتيها من يديك:
واحد للأحلام الحلوة،
آخر للعذابات المرة.
افتحي أي باب –
إلى السعادة، إلى التعاسة...
المهم أن تبقي معي،
كي لا أضيع...

وصية الحب

فاتِمات

إذا ما شاءَ القدرُ وقذف بي
إلى الغابات
وكان مسموحاً لي
أنْ آخذَ معي
كلَّ ما أنا بحاجة إليه،
كل ما أريد –
فإني سآخذُ صورتَكِ.
سوف أحفظها،
كما التعويذة،
في المطر وفي الضباب...

أنا لا أعرف،
ماذا يرسل لسيدته،
السيد أو النبيل الإنكليزي
من الغابات،
أما أنا فسأكتب

على ورقة نخيل،
على وقْعِ الصفير الساحر
لسوناتا بترارکي[١٢]،
وسأضيف إليها أشعاري
مع ابتهال خاشع –
لا تنسني! – وسأرسلها إليكِ.

وإذا أرسلوني فجأة
إلى الفضاء –
وهناك لن أستطيع العيش
يوماً واحداً من دونك! –
فإني سآخذ معي صورتك،
وبالفعل – لا طاقة لي
للعيش من دونها...
وسوف تطير إليك
نداءاتي من الفضاء:
فاتِمات! فاتِمات!

[١٢] بترارکي – شاعر إيطالي. المترجم

وليرسلوني إلى هاييتي،
إلى الباراغوي،
فاعرفي أنه سيبقى
معي أبداً –
الاسم المطلوب،
في اليقظة وفي المنام،
في القطب،
على أمواج المحيط...
وإذا ما شعرت بالضيق،
بالقلق وبالعتمة –
فإن اسمك هو العلاج
من كل الآفات.
وفقط عند آخر العمر
اعترفُ أنني
نسيتُ اسمَكِ.
ونسيت وجهك أيضاً –
وهذه هي النهاية!..
مثلما ينسى

المطربُ أغنيته.
ولكني لا أقوى
على التفكير
بأنّي سوف ادفُنُ
الحبَّ معي في القبر...

أنا متزلّف معروف . .

أنا متزلّف معروف لك،
مستعد في أيّة لحظةٍ
أن أمشي على الحبل أمامَ عينيك،
وأن أجثو على ركبتي أمامك.

أنا أسترضيك، أسترضي القمرَ والنار،
والأزهارَ، والمروج والغروب،
وأنا لا أتهمك أبداً بأي شيء –
بل أعتبرُ نفسي المذنب.

أنا انتصرت على الكثيرين والكثيرين
مرات ومرات، ولقبتُ بطلاً بالفطرة...
لكن كم رفعتُ يدي أمامك،
معتبراً نفسي مهزوماً.
لا أنا ولا أغنيتي لم نُداهِنْ
أحداً، ولا مرة.

نحن تملقناكِ أنتِ فقط
ولأوامرك أنتِ
كنا نخضع دائماً.

لم تعرفي منافسات لكِ أبداً. . .

أحبُّ الليالي السود، مثل البارود،
أحبُّ العشَّ الأهلي – تسادا.
أنا أحبُّ جميع النساء، من بين اللواتي
لم تعرفي منافسات أبداً.

أحبُّ أنْ أُبقي ذرى الجبال نصبَ عيني،
وأنا وزّعتُ كلَّ نساءِ الدنيا
بين حدود السماوات والأرض
إلى: أنتِ وباقي النساء.

أحبُّ، عندما تحملني القطارات،
وهي تتلألأ، عبر الأمداء المفتوحة،
أنا أحبُّ جميع النساء، من بين اللواتي
لم تعرفي منافسات أبدا.
سواء كنتُ واقفاً على ساتر صخري
أو كنتُ أسبح عند شواطئ غريبة،
فكلُّ النساء في الدنيا موزعة من قبلي
إلى: أنتِ وباقي النساء.

ليحيا عالمُ النور . .

ليعش، رغمَ أنفِ الشرِّ،

عالمُ النور، الذي لا يتكرر،
لتعش عيناك، يداك،
والكلمتان التي ننطق بهما...

والقرنُ المعقَّد كما هو بسيط،
واليومُ الذي ولِدْتِ فيه.
لتعش آلافُ النجوم،
التي تنظر إلينا.

أرسم صورتك

من فضلك – أنا سأرسم صورتك،
ولن تكذبَ ريشتي الخبيرة.
ففي وجهك أثمِّنُ، مذْ كنتُ شاباً وحتى الآن،
كلَّ ملمح مهما صغُر.

لكني أشعر: أنا عاجز.
هل سأقدر
أنْ أصوِّرَ الفمَ ذا الكلمة النجمية،
أو العينين، اللتين اعتدتُ
أنْ أقارنَ بهما عينيّ المها في الجبال؟

وقلمي،
يا لهذه الهناءة،
أُبْعِدُهُ عني باستمرار، وأنا أتنهّدُ.
ألم تضعي الأقراط في أذنيك،
كي يتزينَّ الفيروزُ بجمالك؟

وهبطتِ إلى قصيدتي الأرضية،
بعد أن ولدت من نار إلهية؟
بالأمس كنتُ غاضباً، كما العاصفة الثلجية،
لكنك ظهرتِ – وإذا بالغضب يختفي.

يا للفنان البائس،
أفكر، بمحبة -
من الأسهل بكثير أنْ أرسُمَ
المرج الزاهي والضوءَ في غابة خريفية –
فهما يشبهانك دوماً.

إني أحمل إليك . .

إني أحمل إليك جليدَ الملامات،
إنه كالمطر الذي يهطل خلف الجبل:
في البداية يكون ثلجا،
ولكنه، بينما يسقط من علُ،
يذوب قبل أن يلامسَ الأرض.

أمشي، كما مشيتُ مائة مرة من قبل،
أحسب أني سأبوح بما في روحي،
لكني أصمتُ: فالدموع، التي تهطل
من عينيك الآن بتلك السهولة،
تعميني وتخنقني أنا – وليس أنتِ.

أركض إليك وأحاول على عجل
أن أقول لكِ شيئاً مهماً،
ولكنْ عبثاً كل شيء: ففي عينيك،
كما لو في بحار اصطناعية كبيرة،

أغرق بصمت واختنق.

أَفْقُدُ قواي، وعندئذ فقط
ترمينَ لي طوقَ النجاة.
ومرة أخرى تكون الكارثةُ ليست كارثة بالنسبة لي.
ثم من جديد أنتظرُ حُكْمَكِ،
فتعيدين لي حياتي بطريقة ملكية.

ورود شيراز

إلى ميرزو طورسون – زاده[١٣]

تكلل كَرْمةُ الأشعار
صدرَ كلِّ قَرن.
أنت تذكرُ، يا ميرزو،
كيف ودّعتنا ورود شيراز
أنا وإياكَ عند الرحيل.

ربما لا شيءَ يُحسَد على حظه أكثر منها،
حيث قبةُ الصبح مليئة بالزهور.
ومهما انقضى من وقت عليها،
فإن حافظا[١٤] لن يدعها تذبل.
ها قد تصاعدت فوق المدينة أولى العواصف الرعدية،
وراحت تحلّقُ أوائلُ الخطاطيف.
إنك تذكر، يا ميرزو، كيف بدت الورود

[١٣] شاعر وكاتب طاجيكي ١٩١١- ١٩٧٧.. كتب باللغة الروسية والطاجيكية. أطلق اسمه على واحدة من المدن الطاجيكية. المترجم
[١٤] المقصود هو الشاعر العظيم حافظ الشيرازي. المترجم

كأنها لبِسَتِ الخُمرَ وهي تودّعنا.

راحت تهمس لنا:
"من الإثم العجلة،
لتؤجّلا سفركما ولو ليومٍ واحد.
وسنكشف وجوهنا أمام نظركما،
كما لو أنّها أجمل عرائس شيراز.

صدِّقني، يا ميرزو،
كنتُ قادراً على أن أمتِّعَ نظري بجمالها
منذ الفجر وحتى المغيب.
آه، يا ورود شيراز!
وقد تغنّى بها حافظ يوماً،
فإنه لن يسمح لها أن تذوي!
مِن أين أنتِ، أيتها الفتوة؟

مِن أين أنت، أيتها الفتوة؟"
"أنا من كلِّ صوب!"
"مَن ستكونين للعالَم؟"

"سوف أكون يوم الغد".

"وأين تبنين أعشاشك؟"
"على جروف الأمل".
"ومن هم الغرباء عنك؟"
"الأغبياء والجُهال".

ومَن هم، أيتها الفتوة،
أبطالك في الحياة؟"
"أحرارُ جميع البلدان
من أيام طروادة!"
"بماذا تشتهر
دروبك في الدنيا؟"
"بأنها ليست شديدة الانحدار،
وليست مطروقة جداً".

"وأين تبدأ
دروبك تلك؟"

"هناك، حيث ترك
الآباءُ آثارَ أقدامهم"

"بماذا يُقارَنُ الحبُّ لديك
في وقتنا الحاضر؟"
"إنه يشبه
النارَ الخالدة ".

"والكراهية إذن بماذا تقارن –
مع اليوم الذي مضى؟"
"لا، هي أيضاً تشبه
النار الخالدة".

"لأية قبيلة،
تنتمين أيتها الفتوة؟"
"أنا ابنة أصيلة
لشعبي الأصيل"!

"وأية لغة تتكلمين،
أيتها الفتوة؟"
"أتكلم اللغة، التي
لا وجود فيها للنميمة

تلك اللغة، التي
لا يوجد فيها تملّق".
"وبماذا تشتهر لغتك؟"
"بأصول الشرف!"

"وما هي الأنشودة، التي
لا تفارقك؟"
"تلك التي تمزج الرقة
بالرجولة!"

"وما حاجتك لذلك؟"
"ليكون الغناء من القلب!"
"وهل ستظلين فتية

لفترة طويلة؟"

"إلى الأبد! "

من القصائد الأخيرة لرسول حمزاتوف

ما الذي بقي، أخيراً؟

كم سقطتْ خلافات،
كم إمبراطورية غابت،
والسلالاتُ تبدلت،
وكلُّ شيء تغيِّرَ مئات المرات..
فما الذي بقي، أخيراً،
سوى "أحبُّ" و"أؤمن"؟
ما الذي بقي، أخيراً،
سواكِ يا فاتِمات؟

دولٌ انهارت،
بدأت المحيطات تجف،
اتلانتيدا - تحت الأمواج
ولن يعود شيء للخلف.
فما الذي بقي، أخيراً،؟
فقط الماء بل والنار..
ما الذي بقي، أخيراً –

سواك يا فاتِمات؟

جنكيزخان، تامِرلان،
بونابّرتْ - كلهم غابوا،
كما الرمل المذري،
طواهم الزمن بلا استثناء...
فما الذي بقي، أخيراً،
سوى اللطف والأغنية؟
ما الذي بقي، أخيراً –
سواك يا فاتِمات؟

والفضاء العظيم[١٥]
اهتز وانقسم...
ليت العَزْم كان كافياً
ليكون كل شيء على ما يرام!..
فما الذي بقي، أخيراً –
مهد وقبر؟

[١٥] المقصود هنا هو الاتحاد السوفييتي السابق - المترجم

ما الذي بقي، أخيراً –
سوى أنت، فاتِمات؟

على الأرض، المحروقة مائة مرة –
تتمزق السماء هباباً:
كم من الألم، كم من الدم
جرى هنا، عبر قرون متواصلة...
ما الذي بقي، أخيراً –
عدا النهار وعدا الليل؟
ما الذي بقي، أخيراً –
سواك يا فاتِمات؟

لا تقلقوا بشأني،
هكذا هي الدنيا،
لا بد من الوداع –
لا مفرَّ من الفقدان...
سأغادر، لكن قبل ذلك
املأوا الكأس لي –

سأشربُ حياتي حتى الثمالة...
ولتبق في الدنيا
وحدها فاتِمات.

أغنية

النساءُ، والخمرُ والأغاني
في الصحو والمطر
أهدتني الأصدقاء دوما،
والأعداء أيضا أهدتني.

بأي ميزان كان
المصير يريد أن يزنهم؟
يبدو، كلتا الكفَّتين
بالتناوب ستميلان...

صرتُ أخشى النساء
ولم أعدْ اقتربُ من الخمر –
الصديقُ صار فجأة عدواً،
والعدو صديقاً صارْ.
النساء، الخمر والأغاني
وثمَّ، كما في البداية،

قدمتْ لي الأفراح.
وبالأحزان، حَدَثَ، جاءتني.

النجاح كما الإخفاق
على قياسي الخاص أقيس:
في ميزان الحبِّ أزينه،
بذلك الميزان الأمين – أثِقْ.

النساء، الخمر والأغاني!
أنا لم أتخلَّ عنكنَّ –
فقط بالصديق خابَ ظني،
والعدو عدواً لم يكن...

بلا عنوان

لا أفهمُ كيف أمْكَنَهُ أن يحدُثَ،
لكن كل يوم يمرُّ على الأرض
ينظر بعيونِ ذئبةٍ مجروحة:
وقد سَرَقَ البشرُ جَرْوَها.

ويئن كلّ مساء يَحِلُّ،
والليل الأعمى لا يخفي الدموع،
كما الأمُّ لا شيء يواسيها:
إذ أخذَ الذئبُ الرمادي ابنَها.

وحصان يبكي: قفزة غير متأنية –
والفارس قد أُسقِطَ من على السرج.
الكلب ينبح بقلق على الجرو:
ما العمل، كي يختفي الخوف بلا أثر؟
تضمحلُّ الأنهار. والقرن الصاخب يئنُّ:
كيف نحمي الأطفال من المصائب؟

ما العمل، إذ في لجّةِ البحر تغرق
سفينة نجاتي البيضاء؟

أهو الطريقُ، أم الحصانُ هو المذنب – لا أفهم.
أم الفارسُ معطوبٌ في رأسه؟
ألسنا نحن الذين نبحث عن ظِلٍّ مستقيمٍ
لعصاةٍ جرباء ومنحنية؟!

شكراً

شكرا للدروب: وقد جدلتِ منها حبلاً،
حملتِ العالمَ على ظهرك، كما الجرّة.
وقوس قزح، وهو يشتعل، انتصب بحذق،
عندما لامس القمم الحجرية.
شكراً – فقد نَجْوتُ هذا الشتاء،
والصيف مرَّ – للأسف – كلحظة!
المصير لم يَعْفِني من الكأس –
بل تجرّعتُ الحزن والمرارة.

الأمطار لم تكن شحيحة علينا،
والشمس دفأتنا كفاية، ولم تكن حارقة.
شكراً للبريد: وصلت رسالتك،
ولو متأخرة، مع ورقة شجر.

شكراً للطير إذ راح ينقرُ النافذة،
معلناً بداية النهار:

راح يدقُّ – إذ أقْلقه كثيراً
الأرقُ، الذي يعذبني.

تحية إلى الأرض، لأصدقاء روحي:
الذين صاروا قلّة – عند النهاية..
كم عانيتُ من ظلم الأقرباء،
ولكنْ لن أقولَ لهم كلمة بغيضة.

شكراً للحبِّ، للموسيقى وللكلمة!
ولأسكتُ عن التفاهات والمشاكل.
لا أتمنّى الشرَّ لمن ارتكبَ الشر،
لكن أنْ أتذكّرهم ليس بي رغبة...

بلا عنوان

حزينٌ الحقل في يوم خريفي رمادي،
والوقتُ، الذي مضى سدى شجيٌّ أكثر.
انقضى – ولا مفرَّ من الحزن:
حانَ الوقتُ كي نفهمَ هذه الحقيقة.

والأكثر حزناً هو المرء الكئيب،
مَن لا يُحْسِن شيئاً في هذه الدنيا:
كالعمود يقف جامداً في درب الحياة،
يدخل أم لا يدخل، ولا يجيد الذهاب.

فهرس

فارس الحب والكلمة ٥
نبذة عن حياة الشاعر..... ١٧
الغرانيق ٢١
أحبك، يا شعبي الصغير..... ٢٣
قلبي في الجبال..... ٢٥
داغستاني ٢٩
سامحني، يا قلبي ٣٢
طفولة ٣٤
أَنْشِدْ أغنية كهذه ٣٦
أنا كلب الحراسة لداغستان ٣٨
المطر يذرف الدموع ٣٨
ما الذي يناسِبُكَ، أيُّها الجبلي ٤١
لكنتُ أعطيتُ كلَّ شيء..... ٤٣
مقابلَ زمن الشباب ٤٣
كثيراً ما أحسَبُ ٤٤
سكان الجبال..... ٤٦
خلعْتُ قدمي وأسمع عتابَ أبي ٤٩
ثلاث شقيقات ٥٠
هواجس..... ٥٤
ماما..... ٥٦
الأخت ٥٨
أخي الكبير ٦٠

إلى حفيدتي الصغيرة ٦١
"شهر" ٦١
مع كل الحبِّ للمـرأة . ٦٤
إذا كان ألفُ رجل في العالم ٦٦
منديلان ٦٨
"ضربتُ" موعداً لامرأة ٧٠
بعد أن ذبتُ في حرقة الحب ٧٢
الثبات على العهد ٧٤
قلْ، سعادةُ مَن ٧٦
صباح ٧٨
حوار ٧٩
نتبدَّل مع السنين ٨٢
دولا لاي! ٨٢
عبثاً عرفتُ الجدَّ ٨٤
منذ أيام الصبا ٨٨
آه، أيتها النساء! ٨٩
الموت لن يقترب مني ٩٤
لن أنساكِ ٩٨
أوه، ما العمل مع هذا الحب؟ ١٠٠
تخضرُّ الحقول ١٠٢
توقّف، أيها الحب ١٠٣
نظرتُ إلى السماء ١٠٥
أغنية عن الحب ١٠٥
أغنية ١٠٩

وصية الحب ١١٢
فاتِمات ١١٤
أنا متزلّف معروف ١١٨
لم تعرفي منافسات لكِ أبداً. ١٢٠
ليحيا عالمُ النور ١٢٠
أرسم صورتك ١٢٢
إني أحمل إليك ١٢٤
ورود شيراز ١٢٦
مِن أين أنتِ، أيتها الفتوة؟ ١٢٧
من القصائد الأخيرة لرسول حمزاتوف ١٣٢
ما الذي بقي، أخيراً؟ ١٣٤
أغنية ١٣٨
بلا عنوان ١٤٠
شكراً ١٤٢
بلا عنوان ١٤٤
فهرس..... ١٤٥

الكتب الصادرة

اسم الكتاب	المؤلف ـــ المترجم
١ ـ الروضة الغناء في دمشق الفيحاء	نعمان أفندي قساطلي
٢ ـ دستوفسكي / نقد ودراسة	استيفان زفايغ / فريد أنطونيوس
٣ـ من الأندلس إلى أمريكا/الموشحات الأندلسية في الشعر الغنائي الغربي	د. عبد النبي اصطيف
٤ ـ جمال الدين الأفغاني ـ ذكريات وأحاديث	عبد القادر المغربي
٥ ـ في ظلال الأندلس ـ محاضرات	سلمى الحفار الكزبري
٦ ـ من الإسكندرونه إلى الإسكندرية	وليد إخلاصي
٧ ـ طرائق تعليم اللغة للأطفال	د.محمود أحمد السيد
٨ ـ دمشق التي عايشتها	يوسف سامي اليوسف
٩ ـ دمشق في عيون الشعر العربي الحديث	جان ألكسان
١٠ ـ من أفلاطون إلى ابن سينا	جميل صليبا
١١ ـ ضد إسرائيل	بيير ديمرون / حسيب كيالي
١٢ـ الشعر والتصوف	وفيق سليطين

١٣ ـ ابن عنين الأنصاري	د. أحمد دهمان
١٤ ـ مختارات شعرية	أمل جراح
١٥ ـ القمة وقضايا الأمة	د. رياض نعسان آغا
١٦ ـ عروبة بيت المقدس	د. اسحق موسى الحسيني
١٧ ـ لوركا ـ مختارات شعرية	ترجمة: مروان حداد
١٨ ـ القدس ذاكرة فنية عربية	محمد منصور
١٩ ـ وهج روح	ريم عبد الغني
٢٠ ـ بين السياسة والفنون	د. رياض نعسان آغا
٢١ ـ حول فراش الأمير	علي حسني نجار
٢٢ ـ أ بو القاسم الشابي	د. سحر عمران
٢٣ ـ كلمات مسافرة	اعتدال رافع
٢٤ ـ أعلام وأعمال	د. عبد الكريم الأشتر
٢٥ ـ البيئة والإنسان تفاضل أم تكامل	كامل عباس

٢٦ ـ بابلو نيرودا عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة	ترجمة: مروان حداد
٢٧ ـ موشور الفصحى الجميل	نصر الدين البحرة
٢٨ ـ نقوش على العمود	عبد الكريم الناعم
٢٩ - مختارات قصصية	حسن م يوسف
٣٠ ـ الأنهار الضائعة	ترجمة: أنطوانيت القس
٣١- مختارات من الشعر الصيني القديم	ترجمة: د. فؤاد المرعي